الاتجاه الاجتماعي في شعر عباس أبو الطوس

(١٩٣٠-١٩٥٨)

الاستاذ المدرس الدكتور

سها صاحب القريشي

جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية

المخلص

زخرت مدينة كربلاء بينابيع ثرّة من الابداع والمبدعين في مجال الأدب، ولا عجب فهذه المدينة الاصيلة بحضارتها كانت وما تزال مسرحاً للمنازلة بين قيم ومبادئ الحق والعدل والحرية والإصلاح من جهة وبين دعاة الباطل والظلم والعبودية والفساد من جهة أخرى.

هذا ما جسده الشاعر عباس (أبو الطوس) في قصائده ذات الطابع الاجتماعي، التي حاول البحث تسليط الضوء عليها وتحليلها في (الاتجاه الاجتماعي في شعر عباس أبو الطوس) مما اقتضى تقسيمه على مبحثين جاء الأول بعنوان ادب العلاقات الاجتماعية (الاخوانيات) وكان الثاني بعنوان الملامح الاجتماعية في شعر (ابوالطوس) يسبقهما تمهيد ويعقبهما خاتمة لخصت ما جاء فيه من نتائج.

The Social Trend in Abbas Abu Al-Toss's Poetry (1930-1958)

Assist. Prof.

Suha Sahib Al-Quraishy

University of Karbala – College of Humanitarian Sciences

Abstract

The city of Karbala has been blessed with springs of creativity and creativity in the field of literature. It is no surprise that this original city with its civilization has been and continues to be a scene of a comparison between the values and principles of truth, justice, freedom and reform on the one hand and advocates of falsehood, injustice, slavery and corruption on the other hand.

This is what Abu Abbas Al-Toss had written in his poems of social nature that the researcher tries to shed light on and analyze in this research of two sections preceded by an introduction and followed by a conclusion summarizing the results.

المقدمة

شهد النصف الأول من القرن الماضي ظهور عدد كبير من الشعراء الكربلائيين الذين كان لهم دور مهم في الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية، لم ينلْ بعضهم ما يستحق من عناية الباحثين والدارسين، ومن هؤلاء الشاعر عباس (أبو الطوس) الذي يعد من كبار أُدباء كربلاء في حقبة لم يعد الشعر فيها تابعاً لسلطة الحكام يمدحهم ويزين لهم أفعالهم كما لم يعد أداةً للهو والتندر، بل أصبح يواكب أحداث الشعوب ويصف ما يجري عليها، هذا الشعر الذي مثلُّ الحياة الاجتماعية بكثير من صورها وأشكالها، وبيّن حياة الناس في شتى مجالاتها، وقدم كثيراً من النماذج بهذا الشأن، وعالج العديد من القضايا التي تمس الواقع العراقي بهدف تغيير المجتمع وإعادة تشكيله وإظهاره بأبهى صورة. وموضوعات الشعر الاجتماعي متعددة تتناول حياة المجتمع، فالشاعر يستمد موضوعاته من حياة مجتمعه لأنه ابن بيئته، يحيا ضمنها وله علاقات اجتماعية مع كثير من الناس فيها يخالطهم، يصور حياتهم ويتحدث بلسان حالهم ويعبر عن أحاسيسهم.

والواقع ان المجتمع الكربلائي تميز بتعدد أصنافه، كالعلماء والأدباء، والوجهاء والمتنفذين من رؤساء العشائر، والسياسيين، والتجار، وغيرهم. وقد استطاع الشاعر عباس أبو الطوس أن يقيم جسور الاحترام والمودة بينه وبين أفراد كثير من تلك الطبقات الاجتماعية، كما اهتم اهتماماً كبيراً بقضية التفاوت الطبقي الذي ازداد في أعقاب الحرب العالمية الثانية بسبب ما جاءت به بعض الاتجاهات والمذاهب السياسية من أفكار وآراء، فقد شهد العراق منذ الثلاثينيات ظهور أحزاب أيديولوجية استطاعت تعبئة جمهرة من أبناء المدن والأرياف، وكانت بدورها تمثل قوى اجتماعية صاعدة كطبقة العمال الصناعيين والاوساط الطلابية في المدن، إضافة الى الفلاحين الفقراء في الأرياف، وكانت هذه القوى تعيش غربة فكرية وثقافية عن الطبقات التقليدية المسكة بزمام الحكم في العهد الملكي. من هنا فقد أُتيحت للشاعر مساحة واسعة للتعبير عن موقفه منها.

وقد قسم البحث على مبحثين يسبقهما تمهيد ويعقبهما خاتمة أجملت ما جاء فيه.

التمهيد:

أولاً: حياة الشاعر ونتاجه الادبي

هو عباس بن مهدي بن الحاج حمادي بن الحاج حسين، ولد في كربلاء المقدسة سنة ١٩٣٠، نشأ في اسرة فقيرة معدمة، عرف بـ(أبو الطوس) نسبةً لمهنة والده الذي كان عاملاً في نقش الكؤوس والأواني التحفية بخط جميل يستوقف الناظر[١]. وتعلم القراءة والكتابة عند أحد شيوخ الكتاتيب وهو الشيخ عبد الكريم الكربلائي، ثم صار يختلف الى مجالس أهل العلم والأدب والمعرفة في هذه المدينة العريقة، حيث درس علمي النحو والعروض وانكب على مطالعة مختلف الكتب قديمها وحديثها وقرأ

دواوين الشعراء وحفظ قسماً وافراً منها وقرأ تراجم كثيرة لكتب الآداب الغربية، فضلاً عن ولعه بقراءة المجلات والصحف العربية، فقد كان لمطالعاته الكثيرة التي لم يكن يكلّ منها أعمق الأثر في تزويده بثروة طائلة من الثقافة المؤهلة له بأن يقرض الشعر في مستهل شبابه، فمنذ عام ١٩٤٧ أخذ ينشر قصائده في المناسبات المختلفة في الصحف المحلية التي لها صدى حسن في الأوساط الثقافية كجريدة (القدوة) الكربلائية، ومجلة (رسالة الشرق) الكربلائية، وجريدة (السياسة) البغدادية، وغيرها[٢]. وبعد أن عمّ صوته المحافل والندوات، بدأ بحياة مريرة وظروف اجتماعية قاسية، وصراع طويل مع المرض.

فارق أبو الطوس الحياة في ٢٦/١٢/١٩٥٨م وهو بعد في الثامنة والعشرين من عمره مخلفاً لكربلاء والعراق شعراً كثيراً وأحلاماً وطموحاتٍ لم تتحقق[٣].

نتاجه الأدبي:

للشاعر دواوين كثيرة وهي:

هدير الشلال، من اغاني الشباب، النشيد الظافر، في محراب باخوس، رباعيات، زئير العاصفة، جمعها الدكتور سلمان هادي آل طعمة في ديوان كبير بعنوان الاعمال الشعرية الكاملة، وله كتاب (سوانح عابرة) وهو مجموعة مقالات في الأدب والحياة نشرها في مجلات عربية، كمجلة العرفان اللبنانية ورسالة الشرق الكربلائية والنجف وغيرها[٤].

ثانياً: المجتمع في زمن الشاعر

اكتسبت مدينة (كربلاء) بفضل مكانتها الدينية بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام وصحبه البررة سنة (٦١هـ) منزلة رفيعة، إذ أصبحت مقصداً لآلاف الزوار الذين يقصدونها على مدار السنة، ومنهم من يفضل الإقامة فيها، حتى أصبحت تتمتع بموقع تجاري لتوسطها بين الأرياف المنتشرة على ضفاف الفرات، وحافة البادية المتصلة بالأقسام الغربية من الهلال الخصيب، لذا كانت مركز نشاط تجاري بين مختلف المدن في القسم الجنوبي من العراق[٥]، وكانت كربلاء نتيجة لتلك المنزلة قد اجتذبت كثيراً من العلماء والادباء، حيث شكلوا مع تلاميذهم طبقة مرموقة ذات أثر كبير من طبقات المجتمع الكربلائي آنذاك، وقد تأثرت هذه المدينة بعوامل سياسية واجتماعية أدت الى اتساعها وازدهار الحياة فيها حيناً وانكماشها وصعوبة الحياة فيها حيناً آخر. أما التجار والفلاحون والحرفيون فشكلوا الطبقة الثانية من طبقات المجتمع في كربلاء لتأتي طبقة الموظفين بالمرتبة الثالثة، فهي لم تتعَد الطبقة الصغيرة التي أخذت تتسع شيئاً فشيئاً[٦] وكانت كربلاء تخضع لنظام يعطي الشيوخ والوجهاء حق التصرف في فض المنازعات والفصل بين الخصوم، وقد قسمت كربلاء الى أطراف أو (محلات) يرأس كلا منها شيخ أو أكثر على النحو الآتي[٧]:

١- محلة المخيم ٢- محلة باب بغداد ٣- محلة باب الخان ٤- محلة العباسية ٥- محلة باب السلالمة ٦-

محلة باب الطاق ٧- محلة باب النجف، هذه الأطراف شكّلت بمجموعها مدينة كربلاء آنذاك.

ثالثاً: مفهوم الشعر الاجتماعي

الشعر الاجتماعي هو ذلك الشعر الذي يتناول صراحة قضية من قضايا المجتمع، كالعدالة الاجتماعية، ونشر التعليم، ونبذ الجهل، ومشاكل العمل، والحث على الإصلاح عموماً، وذلك بتحديد العلة، وتشخيص السبب، واقتراح العلاج، ومن أهم موضوعات هذا الاتجاه في العصر الحديث هي الفقر، ونشر التعليم، والمطالبة بالعدالة الاجتماعية، وغيرها من الموضوعات التي أسهمت في نشر الوعي الاجتماعي الذي قاده الشعراء أصلاً وغذّوه، كنقد الناس في مواقفهم وتصرفاتهم، أو ارشادهم وتوجيههم، وهذا الذي اشتهر به أبو الطوس.

ويمكن تصنيف الشعر الاجتماعي عند (أبو الطوس) بالثوري ذلك النوع الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية، وتناول بالجملة توعية جماهير الشعب بواقعها[٨]، كوعي الفقراء بحقوقهم، وسبل المطالبة بها، والثورة على ذلك الواقع لتغييره، لذا فإن من أهم خصائصه أنه شعر هادف يرمي الى اصلاح الأوضاع باستعمال أساليب الاقناع لتحقيق الهدف، وذلك باستعمال لغة واضحة ومؤثرة، ومخاطبة العواطف، ولفت الانتباه الى ما أحرزته بعض الشعوب المتقدمة في هذا المجال، ليبعث فيها الأمل ويدفعها الى الامام حتى لقد ظفرت هذه القضايا الاجتماعية بالنصيب الأوفر من الشعر الحديث[٩].

كما يشمل الشعر الاجتماعي ما قاله الادباء في الرثاء والمدح والتهنئة والترحيب، والهجاء، فهي موضوعات عبروا بها عن مشاعرهم التي تندرج بأجمعها ضمن ما يسمى بـ (الاخوانيات).

المبحث الأول:

أدب العلاقات الاجتماعية (الاخوانيات)

ذكر القلقشندي أن موضوعات هذا الفن تتشعب الى (سبعة عشر غرضاً، واغراضها للمسامرات والمناظرات، والتهاني، والتعازي، والاعتذار، والتهادي...)[١٠] وغيرها، وهي عبارة عن رسائل ومكاتبات نثراً أو شعراً، تصور عواطف الشعراء النبيلة بعيداً عن التكسب والمنفعة[١١].

وما يهمنا هنا من الاخوانيات هو الشعر، وهي قصائد ترسل الى من تجمعه مع الشاعر أواصر أسرية واخوة أدبية، أو مشاركة في المشاعر الوطنية أو الإنسانية، وهذه الاخوانيات في الغالب تظهر نتيجة لضيقٍ اجتماعي، أو اقتصادي، أو لأضطراب سياسي، حيث تضيق الصدور وتظلم القلوب، لذلك فهي تصور نفسية الشاعر وطبائعه المتأرجحة بين الرقة والخشونة، والحساسية والتحفظ، كما تدل على وفاء منه لأصحابه، سواء في التهنئة أو الاشتياق والحنين أو التعزية، التي تنطوي على نمو الحس الإنساني واهتمام الشعراء بالمناسبات الاجتماعية، ومشاطرتهم من يحبون في كل ظروفهم، ويأتي في مقدمة تلك الأغراض الاخوانية الاجتماعية:

١- الرثاء

الرثاء تحديد محاسن الميت والاسف عليه، والرقة عليه، وخشوع النفس[١٢]. وينقسم على ثلاثة أنواع، ندب، وتأبين، وعزاء، فالندب: هو النواح والبكاء على الميت بالعبارات الشجية والالفاظ الباكية الحزينة، والعزاء: هو الصبر على فاجعة الموت، والتفكير في حقيقته وحقيقة الحياة الزائلة، أما التأبين فهو الثناء على الميت وتعداد مآثره وفضائله[١٣]، وهو أكثر ما استعمله الشاعر في رثائه. ويشمل الرثاء عند (أبو الطوس)، رثاء الأقارب، والعلماء، والشعراء.

أولاً: رثاء الأقارب

تتجلى في هذا النوع من الرثاء العاطفة الصادقة، ورهافة الحس، لأن الشعراء غالباً ما يقولونه وأكبادهم تحترق[١٤]، كما في ندب عباس لأمه في قصيدة (صرخة قلب) التي قدم لها بقوله: (كانت مفاجأة مرعبة جداً، وكانت هائلة تحطمت لها أعصابي وخارت قواي في ذلك الصباح الأسود حين فوجئت بفقد الحنان والحب الصادق، بفقد الربيع الجميل.. بفقد أمي، فوقفت على رأسها، وقد غمرني الوجوم وسمّرني في الألم الدامي، ولفني ضباب الموت الرهيب، وما هذه القصيدة الا صرخة دامية انطلقت من قلبي الجريح في تلك اللحظة الهائلة من الحياة)[١٥]، يقول فيها[١٦]:

جزعٌ قاتلٌ وعمرٌ خضيب
وفؤادٌ قد اثخنته الندوب
وشباب قد زاحمته البلايا
واحتوى افقه الجميل الشحوب
خطفت أمي المنون فسيلى
يا دموعي وزمجري يا كروب

***

لهف نفسي عليك يا أم
ان الموت صعب لم تحتمله القلوب
يا هتاف الحنان عند التلاقي
والنداء الطروب حين أغيب
يا رفيق المنى وسلوة عمري
ان تحدى فؤادي التعذيب

***

ليس هجر الحبيب صعباً مذيباً
ان فقد الحبيب صعب مذيب
ما قوافي القريض يا أم إلا
ألم زاخر ودمع حبيب

فالشاعر يبكي ويحزن أشد الحزن حتى يكاد يقتله الحزن على فقد أمه، ناقلاً لنا لوعته المتمثلة في حالته النفسية وشعوره بالغربة والوحدة حينما فصم الموت عرى ألفته مع أمه، ليزيد على عذابه عذاباً. وهنا ما قد يشكل تناقضاً عصياً على التفسير والتبرير، مع حديثه في مقدمة ديوانه (من أغاني الشباب) الذي ضم هذه القصيدة حيث يقول: (فقد فتحت عيني على أب كبير السن مغرق في ضوضاء العمل والمرض والفقر أيضاً وعلى ام ساذجة لا تعرف الحنان والعاطفة)[١٧]، إذ كيف تكون (أُمّه) هتاف الحنان عند التلاقي والنداء الطروب في الغياب ورفيق المنى وسلوة العمر وهي لا تعرف الحنان والعاطفة؟

وليس بوسع القارئ الا ان يعزو مثل هذا الوصف القاسي، والموقف المتناقض الى انعكاسات نفسية لطفولةٍ بائسة مرّ بها الشاعر وكبر وهو يحمل أوزارها شاباً ذا عاهة في رجله اليسرى، ولأن الحياة كما يراها هو ذات عوامل مؤثرة ومختلفة، وكلها في تناقض، فهي مؤثرات تصدم الاعصاب والعواطف وتثير الإحساس[١٨]. وهو علاوة على ما به من عاهة ظاهرة في جسمه، كان مريضاً بالروماتزم في القلب[١٩]، مما أشعره دوماً باحتياجه الى عناية خاصة ربما لم ترق عناية امه الى مستواها مما جعله شديد الحساسية ممن حوله لا سيما أمه على وجه التحديد وهذا ما يفسر قوله: (عشت معذباً ومحروماً من العناية، لا أعرف ما يسمى بالرفاه والرخاء)[٢٠].

ثانياً: رثاء العلماء

ويندرج تحت هذا النوع من الرثاء، التأبين الذي يأتي بالدرجة الثانية بعد الندب في شدة الجزع، وهو أشبه بالمجاملات الاجتماعية، ومنه تأبين الملوك والزعماء والاشراف[٢١]. فقد رثى عباس أبو الطوس العلماء من وجهاء كربلاء بفيضٍ من أدبه الحزين، ومن هؤلاء السيد محمد سعيد محمد حسن آل طعمة بما اكتسبه من منزلة اجتماعية واتصف به من علم وورع ودين، وذلك عندما ألقى قصيدته (فقد العز) في الحفل التأبيني الذي أقيم في صحن أبي الفضل العباس عليه السلام بكربلاء مساء يوم ٣٠ حزيران ١٩٥٨م وذلك بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته قال فيها[٢٢]:

بـــررت مـع الـــورى سبـعين عـاماً
ســمــوت خـلالهـا شرفـــاً وقـــدرا
وصـنـت الـنـفـس مـن آثـــام جيل
تـسـيـل طـبـاعـه كـــذبـاً وغـــدرا
فـــلا الحـــق الـصـريـح نـــراه حـقـاً
ولا الـطـهـر الـسـلـيـم نـــراه طـهـرا
وصـــار الـديـن لـلـمـحـتـال ثـوبـاً
يـبـاع لـغـايـةٍ طـــوراً ويـشرى
يـقـيـم صـلاتـه جـهـــراً ولـكـن
يهـــد الحـــق والايـــــمان سرا

***

فـقـد الـعـز مـا جـــدوى شكـاتي
وقـــد أبـــصرت في الآذان وقـرا

***

غـربـت عـن الـوجـود أبـا (ضـيـاء)
بـقـلـب فـــاض إحـســانـا وبـــرا
وخـلـفـت الأحـبـــة في الـتـيـاع
مـدامـعـهـم تـسـيـل عـلـيـك حـرى
وهـــا اني أقـطـر ذوب قـلـبي
لـذكـري الأربـعـين وأي ذكـرى

ففي الوقت الذي يشير الى ورع الرجل وتقواه يجعل من رثائه فرصة لعرض شكواه مما حل بأبناء هذا الجيل من آثام وطباع ما عادت مستنكرة لديهم.

كما ألقى قصيدته (الدمعة الخرساء) في الحفل التأبيني الذي أقيم في الروضة العباسية المقدسة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة السيد محمد صالح القزويني في مساء يوم ٢٥ شباط ١٩٥٧م راثياً بفقده العلم والدين ومستذكراً نصائحه القدسية التي

كانت توقظ الجهال، يقول فيها[٢٣]:

حقاً يقام لك العزاء الأوفرُ
ولك المحافلُ بالمدامع تزخرُ
بالعاطفات الصاخبات يثيرها
هول المصاب وجمره المتسعِّرُ
بالذكريات الطافحات وداعةً
وفضائلاً علوية لا تنكر

* * *

يا موقظ الجهال من غفواتهم
بنصائح قدسية وعظات
ومعطّر الأرواح بالهدى الذي
يجلو الشكوك وظلمة الشبهاتِ
هيهات أن أنسى طبائعك التي
جبلت على الأفضال والحسنات

وذكر في بعض مراثيه للعلماء أسماء مؤلفاتهم كجزء من العرفان بجهدهم العلمي والثقافي، من ذلك قصيدته (يوم الفاجعة) التي ألقاها أمام جثمان العالم الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين لدى مروره بكربلاء في الروضة العباسية مساء يوم ١/ ١/ ١٩٥٨م، قال فيها[٢٤]:

ضجت لمصرعك الرهيب الدارُ
وتضرمت بمصابك الأحرار
وتلبدت فوق العواصم غيمة
هي للفجيعة والاسى انذار
وارتج وادي الرافدين كآبة
وتماسكت بفضائه الأكدار
وانهد من لبنان صرح شامخ
مذ غاب عنه الكوكب النوّار
أعلنتها شعواء يوم تنكست
همم الرجال وأدبر المغوار
وخلت ميادين الكفاح فما بها
شهم يذود وفارس كرار
فنهضت حيث الوحش سلط نابه
وصدمت حيث تحكم الجزّار

* * *

تلك (الفصول)[٢٥] الخالدات روائع
للدين قد ذعرت بها الأشرار
نجم هويت من السماء فكيف لا
يربد وجه الأفق وهو نهار
ذي كربلاء تغيرت قسماتها
مذ لفها من رزئك الاعصار

وربما لحق بهؤلاء العلماء غيرهم من الشخصيات التي أحدث فقدها دوياً هائلا في الأوساط الكربلائية الشعبية كالسيد يوسف بن أحمد المحامي الذي رثاه الشاعر أبو الطوس في قصيدة ألقاها في الحفلة التأبينية التي اقامتها غرفة زراعة كربلاء في صحن أبي الفضل العباس عليه السلام بمناسبة أربعينيته عام ١٩٥١م، ذاكراً محاسن أخلاقه في زمن عزّ فيه من يجمع بين المنصب المهيب والخلق الرفيع، غير مدخر هذه الفرصة لينقض كعادته على الفاسدين ممن تحكموا بمصائر الناس وفتكوا بهم لأنهم سكتوا عن الحق. قائلا[٢٦]:

أرثيك لو يجدي الكلام، ومدامع حرى سجام
أو أن يعيد الماضيات الغر حزن واهتضام

* * *

ما كنت ذا أنف ولم يخدعك زهو أو مقام
فمع القريب أو البعيد لك انصياع وانسجام

لا كالذين يغرهم طمع ويخدعهم وسام
غادرت دنيا الماكرين بحيث يشحنها الحرام

وما يلاحظ في هذا النوع من الرثاء أنه يكشف عن نفس تقليدي تبدو فيه البساطة في اللغة، والخطابية والحماسة العالية، التي قد تفسر بما كان يعانيه المجتمع من أمراض اجتماعية انعكست على رؤى الشاعر للأشياء.

ولم توصف كلّ مراثي الشاعر بالطابع التقليدي الخالص، بل ثمة ما يدلل على ملامح التجديد فيها، وهو الخوض في مشكلات المجتمع وإظهاره لمعاناة الشعب الرازح تحت نير حكام خاضعين للاستعمار. كما في قوله من القصيدة نفسها:

إن أنت أرداك الحمام، فالشعب أخرسه اللجام
وكما دجا ليل عليك فويقنا داج ظلام
وكما يضايقك الحفير غدت تضايقنا الطغام

* * *

هذي السجون مقابر يسعى بها الموت الزؤام
يستامها الحزن المرير ويرتقي فيها السقام
السوط يفتك بالأباة، وما من الجاني انتقام
والشعب مكبول، وليس على مكبله احتكام

الى آخر القصيدة التي تجهر بعداء المستعمرين وعملائهم، بحيث كان الوطن ومعاناة شعبه هاجساً أبى الشاعر إلا أن يضمّنهُ قصائده الرثائية.

ثالثاً: رثاء الشعراء

لم يقصر أبو الطوس رثاءه على العلماء والوجهاء ممن كان لهم دور بارز في المجتمع الكربلائي آنذاك، وانما رثى الشعراء بأبيات تضج حزناً على من مات منهم، مستذكراً ما عرفوا به من إجادة في الشعر، ومستنكراً في الوقت نفسه أن لا تُذكر خدماتهم الجليلة الا بعد أن يفارقوا الحياة، فيحرموا من التكريم في حياتهم، متربصاً ومستغلاً فرصة مناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الشيخ عبد الحسين الحويزي ليلقي قصيدة في رثائه والتعبير عن معاناة أصحاب الفكر بإزاء جهّال لا يقدرون قيمة المواهب، وذلك في الحفلة التأبينية التي أقامها أدباء كربلاء في الروضة الحسينية المقدسة في ٥/ ٩/ ١٩٥٧م، قال فيها[٢٧]:

أبكيك قلباً بالكآبة زاخراً
ومواهباً كست الحياة مفاخراً

* * *

لا تأسفن على الحياة فأنت من
قبر الى قبر غدوت مسافراً
ان الحياة كما عهدت مهازل
ممقوتة تشجي الأديب الفاكرا
عاش الجهول بظلها متنعما
وأخو المواهب مستضاما حائرا
نم في حفيرك مطمئناً هادئا
لم تلف جوراً أو عدواً غادراً

* * *

ذكروك لكن بعد ما فارقتهم
وخدمتهم بالشعر جيلاً غابرا

* * *

عبد الحسين وحق لو أعلنتها
شعواء تترك كل وغد صاغرا
قد عشت في دنياك عيش براءة
لم ترتكب إثماً وتجرح خاطرا

الى آخر القصيدة، وكذلك رأى أبو الطوس نفسه في أبي القاسم الشابي، وهو يرثيه في قصيدته (شهيد الفكر) التي قدم لها كعادته عبر آلية الشرح او الاستهلال[٢٨] المعروفة، بقوله: (يعيش الشاعر مهملاً كالميت وحينما يموت يقدس في الحياة!! الى روح ذلك الهزار الذي تغنى بين أحراش تونس الجميلة حتى تناثر قلبه كالشظايا وهو ما زال في ريعان الشباب، الى روح الشاعر العربي الخالد أبي القاسم الشابي)[٢٩].

غنيت للوطن العظيم وأنت تحمل ألف داء
وهتفت بالنغم الطروب وأنت ترزح بالشقاء
حتى تبخر عمرك الزاهي بأعماق الفضاء
وتبعثرت أحلامك العذراء في دنيا الفناء

***

قد خضت معركة الأسى وذرعت صحراء الوجود
أبداً تغني للحياة كآبة القلب الوحيد
عبر الضفاف وبين اظلال الصنوبر والورود
حتى هويت مضرجاً بدماء قلبك يا شهيد

وفي الذكرى السادسة لوفاة الشاعر معروف الرصافي نشر أبو الطوس قصيدة في رثائه في العدد الخاص من جريدة (الوعي السياسي) سنة ١٩٥٢م أودع فيها ما حرص دوماً على التعبير عنه وهو معاناة شعبه، وكل شعوب الأمة من الأدواء الاجتماعية الناتجة عنها ووصف ما يشترك به مع الشاعر من شعور نبيل تجاه المجتمع بقوله[٣٠]:

تحن على الورى حباً - وحنقاً
إذا شاركت امتك الشقاءا
فتمسح من يتيم العيد دمعاً
يكاد يسيل من ألم دماءا
وتحزن للأرامل حيث باتت
بجنح الليل ترتجل البكاءا

***

بلادك لم تزل معروف تبكي
وشعبك لم يزل يشكو العراءا
يد الأشرار تقذفها دمارا
ورب الفكر يوسعها ثراءا
ولم تزل القيود لكل حر
تصاغ لكي توسده الفناءا
وجامحة الخصومة في اتقاد
مؤججة وتأبى الانطفاءا
ولم تزل القلوب على اختلاف
ولم يجد اليراع لها اصطفاءا
وجرس العنصرية من قريب
يرن فيملا الوادي عداءا
فذاك يسير عن جهل أماما
وذا يرتد عن عمد وراءا

وهكذا فقد كانت رثائيات (أبو الطوس) علاوة على كونها في حقيقتها مدح لتلك الشخصيات المرثية وما قدمته من خلال ابداعها الشعري، كانت منغمسة في قلب الأحداث نتيجة الوعي المتنامي في تلك المرحلة من تاريخ العراق الحديث.

٢- الصداقة

سبقت الإشارة الى ان من الاخوانيات هو الشعر الذي يدل على وفاء الاصحاب والاشتياق والحنين إليهم وهو من أوجه أدب العلاقات الاجتماعية لما فيها من مشاعر ودّية تهاداها الأدباء فيما بينهم من

جهة، وبين غيرهم من أبناء المجتمع من الأصدقاء كما في المقطوعة الشعرية (من الأعماق) التي أهداها الشاعر الى السيد سلمان آل طعمة جواباً على قصيدة كان قد أهداها إليه، وقد نشرت في جريدة (السياسة) البغدادية سنة ١٩٥٤م، قال فيها[٣١]:

سلمان شعرك قد أثار شجوني
وأهاج للماضي البعيد حنيني
فصبوت انشدك القوافي حرة
غذيتها شوقاً بدمع عيوني

* * *

ولأنت خير مسامر في وحدتي
وأخ يزيح توجعي وظنوني

* * *

وأنا الذي قطع الليالي ساكباً
نجواه في دنيا الهوى المفتون
واسيتني ألمي فهاك تحية
لتكون رمز وفائي المكنون

وفي الجريدة نفسها، والنسخة نفسها أيضاً أهدى أبو الطوس قصيدة بعنوان (حنين) الى السيد سلمان آل طعمة تخليداً لعرى الصداقة بينهما ونشرت كذلك في جريدة (أوقات الساعة) قال فيها[٣٢]:

يا اخي في الروح، أهديك تحيات المحب
وأناجيك وفي نفسي حنين وتصبّي

* * *

أبداً شخصك يزهو بين طيات خيالي
أبداً ذكرك ينساب عبيراً في مقالي

وغالباً ما تشتمل مثل تلك القصائد على لفظة (أخي) أو ما يشابهها تماماً كما لو كان يراسل أخاً او أختاً له حقيقة، كما في أبيات أرسلها لأخته وهو في السجن[٣٣]:

كفكفي الدمع فلا ينقذني
دمعك الساخن من هذا العذاب
أنا يا أختاه شيعت المنى
والصبابات وأحلام الشباب
فدعيني رهن قيدي واجهلي
ما الاقيه بسجن من صعاب

ولا تقتصر مثل تلك القصائد على مشاعر أخوية صادقة، انما هي وثائق تصلح أن يعتمدها الدراسون في التعرف على الظواهر الاجتماعية للمجتمع وقتذاك وما كان يعانيه من هموم غمرت أبناءه. كقوله في جانب من قصيدة (حنين)[٣٤]:

يا أخي حتام نبقى والضنى ينخر فينا
وبلاد غمرتها آفة الأشرار هونا

* * *

يا اخي هذا وبال ومصاب وبلاء
ليس إلا غصب حق فيه كذب وافتراء
إننا نزرع والآخر يجني ما يشاء
أفترضى ينهب الزرع أُناس دخلاء

وهو ما يؤشر على أنّ القصائد الاخوانية لم تكن بمعزل عن مناقشة موضوعات مهمة مثل الآفات الاجتماعية التي لم يسلم من تأثيراتها المجتمع كالفقر وآثاره السلبية كارتفاع نسبة الجهل والامية والأمراض، فقد تفاعل الشعر العراقي مع المتغيرات في احدى اكثر الحقب الزمنية الحافلة بالحوادث والانتفاضات والحراك السياسي والاجتماعي في العراق (فابتعد عن خدمة السلطان والوالي والحكومة

واتجه للشعب، وخدمته وأصبحت للشعب منزلة محترمة، وبدأ الشعراء، وقادة الرأي في معالجة مشكلاته الاجتماعية والسياسية لرفع شأنه وخلق شعب قوي، صحيح، غني، ومثقف)[٣٥]، بالإضافة الى القضية الرئيسة التي أرقت الشاعر وأنسته طعم الهناء وهي النضال وكفاح المستعمر وما أفضت إليه من سجون ضمت آلاف الشباب بين جدرانها المظلمة والتي أصبحت سمة واضحة في شعره لخلق حالة من الوعي في نفوس الناس تستمد قوتها من صلابة هؤلاء الشباب، قال في ردٍّ على تهنئة بالعيد من أحد أصدقائه[٣٦]:

تحيتك الجميلة قد أتتني
معطرة كأشذاء الورود
تفيض هوىً لنا وتفيض شوقاً
وحباً لا يعبر بالقصيد
وها أني ابادلك التهاني
وهذا الحب بالعيد السعيد
واني لا أرى الأعياد تحلو
وهذا الشعب يرزح بالقيود

وقال أيضا في الموضوع نفسه[٣٧]:

تهاني العيد وافتني وفيها
تحلى للوفا خير الدلائل
فيا لك من صديق ما تناسى
أحبته ولا قطع الرسائل
أخي اني كما تدري محب
لأوطاني وللشعب المناضل
فكيف اعير للأعياد شأنا
وألف مناضل رهن السلاسل

ويبقى (للصداقة طعم عجيب لا يعرفه إلا ذلك الانسان الذي ذاق المرارة والحلاوة في وقت واحد وحمل الشوك والورد في يد واحدة... الى صديقي وأخي الأستاذ المحامي مهدي الشيخ عباس، أرفع هذه الكلمات المنبعثة المتفجرة من العروق في لحظات هائلة) تلك هي مقدمة لقصيدة (من دنيا الإخاء) قال فيها[٣٨]:

يامن حنوتَ عليَّ حين سمعتني أشكو الهموم
ورأيتني بمجاهل الأيام مغترباً هظيم

* * *

فنصحتني أن لا أمدّ يديَّ للجاني الكذوب
وبأن أنام ولو على الأشواك والألم الرهيب

وكان أبو الطوس قد بعث بقصيدة أسماها (رسالة شوق الى صديق) وهو قدري أمين الكربلائي الذي كان يكمل دراسته في الخارج منذ سنة ١٩٥٧م، وهي قصيدة مليئة بالحنين والشوق للأيام الماضية والذكريات والأماكن الجميلة التي جمعتهم في كربلاء، كقوله فيها[٣٩]:

إليك رسالتي الوافية
تنبيك عن حرّ أشواقيه
وتزخر بالامنيات العذاب
وذكرى سويعاتنا الماضيه
وبالذكريات التي لم تزل
تمر فتلهب أحزانيه

* * *

خيالك (قدري) حليف العيون
وذكراك لم تبتعد ثانيه

* * *

ثباتاً أخي إنّ نيل العلى
رهين بأتعابك الساميه

* * *

تذكرت مقهى (مجيد البصير)
ومجلسنا الحلو في الزاويه
ومن حولنا (النهر) يهدي النسيم
رخياً بأذياله الناديه

وهي قصيدة / رسالة طويلة تضج بأسماء الأصدقاء الذين يودون حمل تحياتهم لصديقهم الغائب، وتفاصيل عن أحوالهم وأحوال أُمّه المحبّة مع جاراتها وهي تحدثهن عنه بفخر، ليختمها بقوله:

فهاك القصيدة رمز الاخاء
وفي ذيلها عفت امضائيه

وتبدو الطبيعة النثرية السردية واضحة على شعر (أبو الطوس) التي ربما تجعله أقرب الى (النظّام) منه الى الشاعر، إلا ان ابتعاده عن البهرجة والتأنق البلاغي وجنوحه الى لغة الحياة البسيطة والواقعية لا يقلل بأي حال من قيمته الشعرية.

وكما شاطر الشاعر أبو الطوس أفراح المجتمع في مختلف مناسباتهم ناسجاً من موهبته الأدبية قصائد جميلة في الحزن تارة وفي الشوق والحنين وصدق المشاعر تارة أخرى، كذلك وقف مدافعاً ومستنكراً بعض الاحداث التي تعرض لها اصدقاؤه من الشعراء كقصيدته (الى الجواهري) التي أهداها له سنة ١٩٥٢م، عند ما هاجمته بعض الصحف المحلية للنيل من كرامته في مقالاتها المغرضة، وقد أودعها ما ينم عن شجاعة وعنفوان من يأبى الضيم ويرفض الذلة، يقول في جزء منها[٤٠]:

مهما لقيت ومهما لفك الكدر
فأنت نار على الباغين تستعر
وانت قيثارة للمجد صادقة
باسم الشعوب التي ينتابها الخطر
باسم الجياع وباسم النائمين على
جنب الطريق فلا مال ولا سرر

* * *

وانت نابغة الجيل الذي سحرت
به العقول وحارت دونه الفكر
بلغت بالشعر حداً ليس يبلغه
بعالم الشعر موهوب ومقتدر

وواضح أن هجاء (أبو الطوس)، أو دفاعه عن الجواهري واستنكاره للهجمة التي شنها مناوؤه ضده اتخذت طابعاً ثقافياً، إذ مثل الجواهري الفكر الواعي، ومثل مناوؤه الجانب المظلم. ومن ثم فإن اهتمام (أبو الطوس) بالجواهري عبر هذه القصيدة الطويلة الحافلة بأشكال المدح وإبراز الفضائل ناتج عن تصدره الساحة الشعرية في العراق والوطن العربي آنذاك. ولدوره الريادي في مجالات السياسة والتنوير والنضال من أجل الحرية الذي يتلاءم مع توجهاته هو.

وتبدو طبيعة (أبو الطوس) الاجتماعية وتواصله الظريف مع غيره من الادباء التي غالباً ما تجمعهم المجالس في كربلاء كما في قول اليعقوبي مرحّباً بمقدمه الى أحد مجالسهم، الذي تغلب عليه بساطة التعبير والارتجال[٤١]:

أهلا لقد شرفتنا بالقا
ومرحباً فيك أبا الطوس

وفقك الله بأحكامه
زيارة المدفون في طوس

المبحث الثاني:

الملامح الاجتماعية في شعر (أبو الطوس)

١- نشر الوعي ومحاربة الجهل:

بالرغم من أن كثيراً من أبناء المجتمع العراقي كانوا يعيشون في فترة الاربعينيات والخمسينيات ظروفاً اقتصادية قاسية جداً، وبالرغم من كثرة العواصف السياسية التي مرت عليهم، إلا إنها تعد فترة ذهبية ومن أخصب العقود في تاريخ العراق الحديث وأغناها من ناحية التقدم الفكري والاجتماعي[٤٢]، حيث أخذت الطبقة الوسطى بالنمو وسط كل تلك المصاعب والتحديات التي مثلت الثوابت العامة للشخصية العراقية، وحملت على عاتقها مهمة تحديث المجتمع وتقدمه وازدهاره، ومن أبرز المؤشرات على ذلك هو رغبة الفرد بالدخول في علاقات اجتماعية جديدة، وتعلم طرق مستحدثة لحل المشاكل اليومية كالإيمان بالعلم والتقدم والوعي.

وقد مجّد عباس أبو الطوس تلك الدعوة كثيراً في شعره، كما في قصيدة (يا شعب) التي ألقاها في الحفلة الانتخابية التي أقيمت في كربلاء بمناسبة ترشيح الشيخ سعد عمر للنيابة سنة ١٩٥٤م وهو أحد الشخصيات الكربلائية المعروفة، وكان قد عين وزيراً للمعارف في العهد المكي. قال فيها[٤٣]:

وطلائع الوعي التي لا تنثني
جزعاً وليس يؤودها الايذاء
والفكر يقتحم الحياة فترتمي
منه الصروح وتنجلي الظلماء

* * *

يا شعب نور الوعي رف منوراً
وجه الحياة كما يرف ضياء

وفي معرض دفاعه عن الجواهري نعى أفول نجم الحضارة والعلم والمثل والوعي التي ما فارقت الامة في ماضيها، مشخّصاً ما تعانيه الطبقة المثقفة من محاربة وتهميش[٤٤].

يا جذوة الفكر ما قدر الحياة إذا
ضاع النبوغ بها والتاعت الفكر
وضيمت المثل العليا فلا نبأ
عنها يبين ولا عن أهلا خبر
وخيمت في سماء العلم غائمة
من الجهالة لا تلوى وتنحسر
وراح يعبث بالآداب محتقر
كما يشاء ويهوى رأيه القذر
وانحط قدر الأديب الفذ واجتمعت
على مواهبه الأرجاس تأتمر
وهو الشعاع الذي تهفو الحياة له
وتستنير به الدنيا وتزدهر

فقد كان مؤمناً بأن طبقة المثقفين والواعين ينبغي ان تضطلع برسم ملامح مجتمع يتطور ولو ببطء، ويسير نحو النمو، فبالوعي ونبذ الجهل تتحرر الأوطان، وتتعرف الشعوب على حقوقها المسلوبة[٤٥]:

أرأيت الوعي في غضبته
كيف يذكو ويثير البسطاءا

كيف يرمي ظالميه.. حمى
ودعاة الكذب قد نالوا جزاءا
كيف يستاق صفوفا كلها
أقسمت أن تصبغ الأرض دماءا
أرأيت الوعي في شعلته
كيف يقتاد ويهدي البسطاءا

تلك الأبيات قيلت على اثر انتفاضة الشعب العراقي عام ١٩٥٢م، ولم تكن الدعوة الى التسلح بالعلم والمعرفة مقتصرة على أبناء العراق بل كانت دعوة عامة لكل العرب، يقول في قصيدة (الى العرب)[٤٦]:

يا قوم طال رقادكم فاستيقظوا
وتقدموا لطلابكم وتشجعوا
سيروا على نور الحضارة دونما
جزع وبالوعي الحكيم تدرعوا

* * *

ثوروا على الجهل المقيت وحطموا
أغلاله بعزائم لا تجزع

* * *

بغداد كانت للثقافة معهداً
ولحجها ترى الوفود وتسرع
بزغت بها شتى العلوم فلم يعد
للجهل فيها بعد ذلك موضع
في كل ناحية أديب بارع
وبكل ربع عبقري أروع

فإذا بنا والجهل يغمر أرضنا
والظلم يسقينا الهوان فنجرع

وللتعبير عن احتفائه بالعلم والمعرفة، يحاول التوعية بأن التسلح بهما أفضل من نشدان المال، فالمرء بدون معرفة يصبح كمن لا شعور له، يعبر عن اتجاهه هذا بأسلوب مختلف، كقوله مثلاً[٤٧]:

قالوا ألم تمتلك مالاً تلازمه
وتستلذ به في اللهو والسمر
هذا نبوغك لم يمنحك بارقة
من الهناء ولم يشبعك في العمر
فقلت ان علوم المرء موهبة
أسمى حياة برغم الفقر والكدر
من لم يكن ذا كفاءات ومعرفة
لعاش دون شعورٍ عيشة الحجر

وبالرغم من ايمان (أبو الطوس) بأنه يتمتع بموهبة أدبية وشعور مرهف يرفعانه الى ما يعجز الأغنياء عن بلوغه، إلا انه ظل يتحمل من الفقر والبؤس ما لا يطاق[٤٨]:

خضتُ العلوم لنيلهن وعندما
أصبحتُ شاعر بلدتي المصداقا
البؤس والفقر المروع والأسى
والنائبات غدت اليَّ رفاقا

ولكن وعلى الرغم من فقره وفاقته لم يعرض شعره للبيع، ولم يرتض بغير حب الوطن والشعب بديلاً[٤٩]:

نظمت الشعر لا كسباً لمال
ولا طلباً لجاه في الأمور

* * *

نظمتُ الشعر للوطن المفدى
وللشعب المقيّدِ كالأسير

وروى أحد معاصريه وهو الأديب سعيد بهاء مهدي أن اقطاعياً عرض عليه (مبلغاً من المال قدره مائة دينار، لقاء قصيدة ترحيبية يلقيها في تحية وفد حكومي زار كربلاء)، وكان المبلغ آنذاك ضخماً بالنسبة لحالته الاقتصادية، إلا ان إباءه واخلاصه لوطنه كان كفيلاً برفضه لهذا المبلغ رفضاً قاطعاً منشداً[٥٠]:

لا خير في شعرٍ ولا في شاعرٍ
ينسى البلاد وللمطامع ينظم

وما رفضه للمال مفضلاً الجوع والفقر على التزلف الكاذب وخيانة المبادئ الا دليل على قوة وعيه وصلابة اعتقاده بالقيم والمبادئ التي يؤمن بها ويحارب من أجلها.

٢- المطالبة بحقوق الفقراء:

أفرز نظام الاقطاع الذي كان سائداً في تلك الحقبة الصعبة من تاريخ العراق طبقتين، الأولى هي طبقة الأثرياء، والثانية طبقة المعدمين والفقراء، وهذا التفاوت الطبقي أدخل المجتمع في مرحلة من الاضطراب وعدم التوازن[٥١]، إذ ظهرت ملامح الصراع الطبقي في المشهد العرقي في ثلاثينيات القرن العشرين كنتيجة لنشوء الطبقة العاملة والطبقة البرجوازية الرجعية من الاقطاع وأقسام من البرجوازية الصغيرة، فقد تحالفت البرجوازية الرجعية مع سلطة الاستعمار البريطاني الذي حكم العراق آنذاك بينما اختارت الطبقة العاملة وحلفاؤها معاداة الاستعمار والنضال من أجل التحرر والاستقلال الوطني[٥٢]. وانبرى الشعراء باعتبارهم يمثلون ذروة الثقافة في المجتمع بما يتمتع به شعرهم من نفوذ عند الرأي العام لا سيما بين أوساط الشباب المثقف، يدافعون عن حقوق الفقراء من العمال والفلاحين، ولعل قصيدة (انشودة العيد) لأبي الطوس تجسد ما كانت تعانيه تلك الطبقة الاجتماعية من سوء حال واستغلال، يقول فيها[٥٣]:

رحمة يا عيدُ بالبائس في هذي الحياة
بالأُلى ناموا عراة في زوايا الطرقات

* * *

جئتَ ياعيدوهذاالشعب مطعون الفؤاد
رازح بالجهل، والفقر وآلام شداد
يشتكي الظلم فلايسكب غير الاضطهاد
نحن لا نعرف ياعيد سوى طعم الشقاء

ويرى بعضهم ان مشكلة الفلاحين والعمال مشكلة ليست بجديدة أو طارئة على المجتمع، الا ان الشعراء اخذوا يلتفتون إليها وكأنهم يكتشفون طبقة اجتماعية لم تكن موجودة، ويتحدثون عن الفقير ومعاناته، عازياً ذلك الى التأثر بالحياة المادية الاوربية، والفلسفة، حتى ظهرت آثار تلك النظرات في شعرهم[٥٤]، وذلك عبر ما بذلته بعض الأحزاب السياسية من مجهودات لاستقطاب الكتّاب والمثقفين، ومنهم الشعراء، وتقدير النفوذ الحقيقي الذي يتمتعون به حق قدره[٥٥]. كإمكانية ما يظهرونه من ملامح انسان مكدود الفكر عميق التأمل، شديد الفقر ويمثل مقدمة الركب في كل جيل، قال في قصيدة (في المؤتمر الوطني)[٥٦]:

أيها الباغون هل من نظرة
بجياع تتشكى الالتذاعا

اشربـــوا الـكـأس هـنـيـئـاً لـكـم
مـن دمـوع صبها الـشـعـب انهـاعـا

* * *

واحـصـدوا المـال ولا تـصـغـوا الى
فـئـة مـسـلـوبـة لـيـسـت تـراعـا
تـشـتـكـي الـبـؤس وفي قـوتـهـا
شـيـد الـقـصـر ونـــال الارتـفـاعـا

وعلى لسان الفلاح يشكو ويقول[٥٧]:

يـا أخـي هـذا وبـال ومصـاب وبـلاء
إنـنـا نـزرع والآخـر يجني مـا يشاء
افـترضى ينهب الـزرع أُنـاس دخلاء

إلا إنه لا يكتفي بالشكوى، بل كان يحرض على الثورة على سارقي خيرات البلاد، ويعبئ من خلال قصائده الحماسية الشعب للنضال ضد الطغمة الملكية الحاكمة ومصادرتها للحريات، وغمط حقوق العمال والفلاحين والكسبة والحرفيين لصالح الاقطاعيين وكبار الموظفين، ويبث الوعي الوطني للمطالبة بالاستقلال والديمقراطية ومعاداة الرأسمالية المتمثلة بالغرب بوصفه المسؤول عما يعانيه الفقراء في بلاده عن كل ذلك، يقول[٥٨]:

ثـر عـلى الـغـرب جـحـيـماً محـرقـاً
يـغـمـر الـطـاغـين خـوفـاً وارتـيـاعـا
هـــذه الامـــة لـــــولاه... لما
عظها الـبـؤس ولا الـعـامـل جاعا
وأســـير الـكـوخ لـــــولاه... لما
عـاش في الأرض غـريـبـا ومضاعا

وهو بتلك الروح الشجاعة، والبسالة المعهودة، والمواقف المشهودة بوجه العتاة والطغاة من مستعمرين وحكام خونة سلبوا قوت الشعب، يدلنا على أسباب اعتقاله المتكرر نصرة لأبناء شعبه من الفقراء.

٣- السخرية والهجاء الاجتماعي:

لم يكن أبو الطوس شاعراً ساخراً أو هجّاءً، إلا انه بالنهاية انسان يحب ويكره، ويعبر عن كرهه واستهجانه لبعض الظواهر بهجائها والسخرية منها، فالأدب سيفٌ يشهره الاديب بوجه من يحس منه الإساءة، ومن السلوك الذي يسيء به بعضهم الى غيرهم، عدم الوفاء، والتنكر لمن يخلص لهم كقوله[٥٩]:

سـحـقـاً لـمـن واسـيـتـهـم بمشاعري
ومـنـحـتـهـم ودي وصـــدق كلامي
ومضيت احتمل الصعاب لأجلهم
وأجـــوب وادي الحـــزن والآلام

* * *

فـــإذا بـــأولاء الـذيـن مدحـتـهـم
يـتـحـامـلـون عـــلي كـــالأقـــزام
ويهـيـجـون عـــليَّ كـــل مـدنـس
رجـــس وكـــل مـــــرواغ نـــمّام

وفي مثلهم ممن يظهرون له الولاء والحب ويضمرون له العداوة والبغضاء يقول[٦٠]:

أخـلـصـت حـبـي لـلأحـبـة دونـمـا
كـلـف لـدى الأفـــراح والأرزاء
فـــإذا هـجـرتـهـم هـجـرت مسرتي
وإذا لـقـيـتـهـم لـقـيـت هـنـائي
لـكـنـمـا الأيـــام في دورانهـــا
كـشـفـت اليَّ حـقـائـق الأشـيـاء
فـــإذا الأحـبـة في الـعـيـان أحبتي
لـكـنـهـم في سرّهـــم أعـــدائـي

ويلفت أبو الطوس النظر الى ظاهرة سلبية أخرى وآفة اجتماعية منتشرة على نطاق واسع بين الناس في تلك الحقبة ولعلها في كل الازمان وهي النفاق والعداوة في المجتمع، وهو بوصفه أحد المثقفين الذين تقع عليهم مهمة إشاعة الوعي والقيم العليا وتصويب السلوك والأخلاق، يقول في ذلك[٦١]:

لا تسلنا عن الاخاء ولكن
عن ضروب النفاق ما شئت سلنا
غيرنا ينبذ العداء وانا
لم نزل نحسب العداوة فنا
كوحوش الفلاة يرجم بعضاً
بعضنا في الحياة كرهاً وظنا
لا تعذلوا نرى فساداً وظلماً[٦٢]
ان أصل الفساد والظلم منا

ومن النماذج الاجتماعية التي استحقت ازدراء الشاعر وامتعاضه، بعض مظاهر مجتمعه المتخلفة، فهو يصور حاجته الى متنفس عما ضاق في بيئته، مستشعراً قيمة الحرية إزاء هذه القيود التي يراها تكبله، كردٍّ طبيعي على التنافر بينه وبين بعض مظاهر مجتمعه التي يعتقد انها تحد من حريته في بناء ذاته[٦٣]، لينشأ صراع بين الواقع والمثال، إذ ان علاقة (المبدع بواقعه لا تخلو من التوتر والصراع فمتطلبات الابداع، ومتطلبات الشخصية الإبداعية تختلف وتتنافر مع متطلبات الواقع الاجتماعي فالمبدع يؤكد استقلاله، ويحتاج لتجاوز وتخطي المعايير السائدة[٦٤]، يقول في (رباعيات)[٦٥]:

واحيرتي من ظلام العيش واعجبي
مما أكابد أو ألقى من الناس
إذا تغنيتُ قالوا شاعرٌ خبل
يقضي الحياة بأوهام ووسواس
وإن سكتُّ عن الانشاد منعزلاً
قالوا جبان ضعيف العزم والباس
أصحبت حيرانَ يا قومي بوصفكم
فعلاً، أأنتم صخور دون إحساس؟

وقوله[٦٦]:

لمن أصبّ القوافي
لحناً رواه الشعور
وليس حولي إلّا
جنادل وصخور

وهو بذلك يدرك شراسة الصراع بين الفرد والمجتمع معبراً عن اشمئزازه من تلك الظاهرة وتأثيرها على نتاج المبدع.

٣- وضع المرأة:

بالرغم من وضع المرأة السيء على كل المستويات في حقبة الاربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، وبالرغم من ان الشاعر من النخبة المثقفة الواعية في المجتمع ممن اطلع على مكانة المرأة في المجتمعات الغربية ومساهماتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فيها - واعجاب بعض الشعراء بذلك، حتى تمادى بعضهم الى المجاهرة بانتقاد ما في الشريعة مما يتعلق بالمرأة كالطلاق والارث والحجاب[٦٧]، وردّ علماء كربلاء المقدسة على ذلك بحزم - إلا انه لم يتعرض للمرأة ولم يطالب بحقوقها حتى في التعليم، وذلك ما قد يُعد امراً طبيعياً في مدينة مُحافظة كمدينة كربلاء لها خصوصية دينية، ولرجال الدين فيها كلمة

مسموعة[٦٨]، وبأن الدين جعل للمرأة من الحجاب والحقوق والواجبات ما هو الأصلح لحالها. وأما ميله الى التصريح بذكر مفاتن المرأة والتغزل بها كقوله في قصيدة طويلة[٦٩]:

سمراء ما أحلى الجمال إذا بدا
للصبّ دون تصنّع مختار

فعائد (للحجاب الذي بالغت نساء كربلاء في الالتزام به)[٧٠]، مما ألجأه الى تعويض نقص حضور المرأة في الواقع الى تخيلها عبر الشعر، أو اختيار بيئة أخرى أكثر انفتاحاً حيث يمكنه رؤية الحسان وهن يتمايلن أمامه دلالاً كبغداد في قوله[٧١]:

سلام على بغداد حيث تحوطها
(عيون المها بين الرصافة والجسر)[٧٢]
وغيد ملاح يقتل الصبَّ حسنُها
تميل دلالاً كالأماليد في السير

٤- تناقض الشخصية عند (أبو الطوس):

أما ازدواج الشخصية بالمعنى الاجتماعي فهي ظاهرة اجتماعية تحدث لدى بعض الافراد نتيجة الصراع الثقافي أو ما يسمى (الثقافية)، ومعناها عند ما يتعرض الفرد لمطالب ثقافات اجتماعية متناقضة، قد لا يتمكن من تكوين شخصية متكاملة لذا يصبح ذا شخصية مزدوجة يمارسها الشخص عن وعي أو لا وعي وذلك نتيجة الضغوط اليومية التي يتعرض لها الفرد في حياته اليومية. يقول الدكتور علي الوردي، الفرد العراقي ذو شخصيتين فهو يعمل بإحدى الشخصيتين، ينسى ما فعل آنفاً بالشخصية الأخرى وذلك مرده الى ظهور نفس أخرى فيه لا تدري ماذا قالت النفس الأولى وماذا فعلت[٧٣].

لقد كان للانفتاح الاجتماعي والاقتصادي في حياة العاصمة (بغداد) التي تردد عليها الشاعر عباس أبو الطوس في حقبة نهاية الأربعينيات والخمسينيات للمشاركة في المظاهرات الصاخبة فيها أن تجلت آثار كثيرة في جانب من شعره ومنها موضوع (الخمريات) الذي بدا بارزاً فيه، وهو ما يعد لوناً من ألوان تلك الحياة التي شاع فيها الترف وطلب اللذات، وإتاحتها في أماكن معينة يقصدها طلاب الليل. فنتيجة نشاط الشاعر الحزبي وما يؤمن به من ايديولوجيات حرة، كان من الشعراء اللذين خضعوا لتأثير الإطار الاجتماعي الذي تعج به تلك الصور، لا سيما وهو الانسان الذي طالما شكا مرارة العيش وثقل المرض والعوز، وتحمل عذابات السجون، فقد تحولت الخمرة من معانيها المرتبطة بالفروسية لدى شعراء العصور القديمة الى مجرد متعة ووسيلة يريح الشاعر بها نفسه وينسيها متاعب حياته وهمومه[٧٤]:

فأنا أرى شرب المدامة محنة
بل انها من أسوأ الآثام
لكن بأي وسيلة أقضي على
طيش العذاب وحرقة الآلام

فهي وسيلة تنسيه همومه وتبعده عن واقعه، بغياب عقله[٧٥]:

يا أيها الساقي فديتك هاتها
زهراء بين خمائل وغصون
واشرب هنيئاً واسقنيها طلقة
فالراح تطفئ حرقة المحزون
واترك أفانين الخطوب ولا تعد
ذكر الدفين فإنه يؤذيني

هـات اسقني صرفـاً ودعـني غائباً
عـن جمـر آلامـي وحـر شجـوني

وهـذا ما يـؤشر شـذوذاً أو تناقضاً في تكوين الشخصية وهـو مـا يسمى (انقسام الشخصية، شخصية الفضيلة والايـمان والميـل الى التقوى، والشخصية غير المتزنة تتميز باللهو واللعب)[٧٦] كما في التناقض الواضح بين أبياته التي مدح بها أهل البيت عليهم السلام ومنها قوله[٧٧]:

ومـا أنـا غـير شـاعـركـم أغـني
بـكـم فـيـزيـدني المـدح ارتـفـاعـا
سـأبـقـى أمـلأ الـدنـيـا نـشـيـداً
بـمـدحـكـم ابـتـكـاراً وابـتـداعـا

وقوله أيضا[٧٨]:

ولـقـد محضتكـم الـولاء وحبكم
لـلـمـرء دنـيـا فـرحـة وأمـان
وقـسـمـت قلبي في الحـيـاة فشطره
لـكـم ولـلأوطـان شـطـر ثـاني

وبين قوله الذي يجسّد الشخصية الثانية[٧٩]:

لـكـنـني رغـم الـزمـان وطـيـشـه
سـأظـل اقـتـرع الـكـؤوس وأجمـع
وأظـل مـعـتـكـفـاً عـلى لـعـبي ولـو
أمـسـت تـضـج بي الحـيـاة وتجـزع

وتبدو أسباب هذه الحالة عند الشاعر اجتماعية وسياسية، ناتجة عن وقوع العراق تحت تأثير نسختين متناقضتين من القيم الاجتماعية تضطر الشخص الى الاندفاع وراء نسق قيمي تارة، ووراء نسق قيمي آخر تارة ثانية، مصدره الصراع في شخصيته، لاسيما (ان الفرد العراقي من أكثر الناس هياماً بالمثل العليا، ولكنه في الوقت نفسه من أكثر الناس انحرافاً عن واقعه الاجتماعي)[٨٠].

ويبدو أن الشاعر (أبو الطوس) ومع زيادة وطأة المرض وشدة الفقر واليأس من تغيير الواقع وفقدان الاهتمام العائلي والمجتمعي بحالتهِ لم يستطع التكيف مع ثقافة مجتمعه الكربلائي المحافظة، أخذ لا يأبه بقواعده الأخلاقية ولا الى الكيفية التي يستخدمها في سبيل تحقيق أهدافه مما أدى الى اضطرابه من الناحية الاجتماعية، وهذا ما قاد النظام الاجتماعي الى ان يمارس ضغطاً آخر على سلوكه لكي يتماشى مع ما هو متعارف في بيئته، وهو ما يفسره قوله[٨١]:

ولـقـد يـقـول الـنـاس عـني شاعـر
أو فـاجـر قـد عـاش كـالأشرار
شرب المـدامـة لا يـعـد جريـمـة
الجـرم في سـفـك الـدم المعـطـار

وقوله[٨٢]:

مـا لي وللعرف الـذي احتقر النهى
وأبـاح رخـو الـعـيـش لـلأوغـاد

ما يدل على ان المثل والقيم الاجتماعية كانت مقدسة الى الحد الذي لا يُسمح بخدشها مهما علا شأن هذا الخادش ومهما كان كفاحه ضد المغتصبين، مستعمرين كانوا أم حكاماً ولعل قصيدة (ثورة الوجدان)[٨٣] تحكي جانباً من هذا التقديس.

لقد كان أبو الطوس يدرك ان منهجه الذي ينتهجه في قوله مثلاً[٨٤]:

انـشـد الـلـهـو والمـجـون بـشـوق
وانـاجـي الهـوى وأقـداح خمـري

يختلف، بل يصطدم مع السائد ومع ثوابت المجتمع، وكأنه صراخ من الذات، من الداخل الموبوء بالأمراض النفسية، التي يستشف منها ضلالاً من لا أدرية إيليا أبو ماضي، فهو يكمل قائلاً:

غير أني أبكي بكاءً حزيناً
رغم أنسي ورغم روضي وزهري
لست أدري وطالما سألوني
لم تبكي، أجبتهم لست أدري

ولا يراد هنا استنطاق الشاعر (فقراءة الشعر لا تهدف الى أن تحدس بما كان يريد أن يقوله الشاعر، ولكن الى تحليل ما تقوله القصيدة وهذا اللون من فك الطلاسم يمكن ان يتسرب الى نفوسنا في اللاوعي أو نصف الوعي أثناء القراءة العفوية الأولى)[٨٥]. فذلك الشرخ في جدار الأعراف والتقاليد الحديدي آنذاك أنتج حالة الازمة النفسية الحادة لديه، كما شكّل الانفتاح الحضاري على قراءة تراجم الكتب الغربية، وما كان يدخل العراق من كتب وصحف عربية، أزمة خلقت بدورها فوضى شاملة لدى بعض الشعراء والمفكرين في المجتمعات الدينية، وكان من أهم آثارها التغيير المفاجئ في البنية الاجتماعية والثقافية لديهم، وما انتجته محاولة تجاوز الفارق الحضاري من إلغاء للذات الحضارية الإسلامية، واغفال معرفة الذات معرفة واعية. فلم يكن هو إلاّ ضحية كل هذ التيه والابتعاد الذي أنشأ منه ذاتين متصارعتين احداهما، الملائكية المؤنّبة للضمير غير الراضية عن نفسها، والأخرى تلك الشيطانية التي اوهمته بأن لا يعبأ بأي شيء.

وتبقى قصائد الشاعر التي تعد انحرافاً عن الخط العام للبيئة الاجتماعية الكربلائية تنفتح على أكثر من قراءة وتحليل، فطالما قال الشعراء ما لا يفعلونه، ولو كان أبو الطوس خليعاً لاهياً كما صور نفسه لما استحق الثناء والاشادة من الكتّاب ومن كل من عرفه، ولا رثاء كرثاء الشاعر السيد مرتضى الوهاب له مثلاً في قصيدته (دمعة على أبي الطوس) قال فيها[٨٦]:

فقد الطفُّ منك نجلاً وفياً
وأديباً وشاعراً وطنيا
فاحتواك الافول نجماً مضيئاً
وعراك الذبول غصناً نديا

* * *

لم تزل تجرع الخطوب اضطهاداً
وتقاسي الحرمان مرّاً رديا
صابراً مرغماً على شظف العيش
غريباً بأرضه منسيّا
بمراثيك للشهيد افتخار
وبها صرت بالرثاء حريّا
لك من سيّد الأُباة نصير
يا أبا الطوس يوم تُبعث حيا

خاتمة البحث

حفل شعر عباس (أبو الطوس) بالعديد من النماذج الاجتماعية التي كانت نتاج اهتمامه بقضايا المجتمع وهمومه، لا سيما ان الشعر عنده يمثل رسالة في الحياة وليس تهويماً ولهواً، وقد تناول البحث في التمهيد حياة الشاعر والتركيبة الاجتماعية للسكان في مدينة كربلاء من فئات وطبقات اجتماعية، ومفهوم الشعر الاجتماعي.

أما بالنسبة لأهم النتائج التي تمخضت من خلال المبحثين فهي:

١. ترسيخ الشاعر للقيم الأخلاقية كالوفاء والإخوة والصداقة الذي عبر عن شعور صادق بوحدة الهدف والمصير وصدق المواساة من جهة، وعن علاقات اجتماعية ودية من جهة أخرى.

٢. التنفير من بعض الآفات الاجتماعية كالفقر والغدر والفرقة والجهل.

٣. ظهر جلياً اهتمام الشاعر في هذه الفترة بتخليص وتحذير المجتمع من ظاهرة المفسدين والمنتفعين والمتسلقين على رقاب الفقراء والأيتام كما أشاد بالطبقات الكادحة من عمال وفلاحين وكان ظاهراً حديثه عن التفاوت الاقتصادي.

٤. اختفى من قصائده موضوع الدعوة الى تعليم المرأة وحضها على نيل حقوقها ومساواتها بالرجل، وموضوع الحجاب والارث الذي شاع في تلك الحقبة في قصائد بعض الشعراء ودعوتهم الى ان تمارس المرأة دورها الاجتماعي والسياسي في المجتمع وسطروا إعجابهم بالمناضلات اللواتي شاركن الرجال في التصدي للمستعمرين والعملاء.

٥. كشف البحث عن أن الشاعر ربما كان يعاني من ازدواج الشخصية من خلال اشعاره التي تؤشر تناقضاً واضحاً في منظومة المثل والقيم التي آمن بها استدعتها أسباب منها خاصة وأخرى عامة.

الهوامش

(١) ينظر: البيوتات الأدبية في كربلاء: ٣٧.

(٢) ينظر: الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء: ١٩٨-١٩٩.

(٣) ينظر: م.ن (المقدمة): ٩، وينظر: شعراء من كربلاء: ٣٤١.

(٤) ينظر: م.ن (المقدمة): ٩.

(٥) ينظر: تاريخ كربلاء وحائر الحسين: ١٥٠.

(٦) ينظر: كربلاء في الذاكرة: ٢٨٦.

(٧) مذكرات السيد إبراهيم شمس الدين الحائري (١٩٠٠-١٩٨٢) مخطوط في خزانة الدكتور سلمان هادي آل طعمة.

(٨) ينظر: تطور الشعر الاجتماعي وخصائصه: www.aoulef.com

(٩) ينظر: دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية- ١٥.

(١٠) صبح الاعشى في صناعة الانشا: ٩/ ٥.

(١١) ينظر: اتجاهات الشعر العربي في المشرق، رسالة ماجستير، صلاح عبد اللطيف، جامعة أم درمان الإسلامية: ٨٩.

(١٢) ينظر: جواهر الكنز: ٥٣١.

(١٣) فن الرثاء: ٥.

(١٤) ينظر: البيان والتبيين: ٢/ ٣٢٠.

(١٥) المجموعة الكاملة: ١٤٥.

(١٦) المجموعة الكاملة: ١٤٥.

(١٧) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٠٦.

(١٨) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٠٦.

(١٩) ينظر: البيوتات الأدبية في كربلاء: ٣٨.

(٢٠) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٠٦.

(٢١) ينظر: الصحاح ٥/ ١٦٧٠.

(٢٢) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٤٨-١٤٩.

(٢٣) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٥٣، ١٥٤.

(٢٤) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٥١-١٥٣.

(٢٥) الفصول المهمة من آثار الفقيد المطبوعة.

(٢٦) الأعمال الشعرية الكاملة: ٦٠-٦١.

(٢٧) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٥٠.

(٢٨) يشكل الشرح النثري ظاهرة بارزة في شعر أبي الطوس هذه الآلية من الشرح التي تقع داخل فضاء (متن القصيدة) وبعد العنوان مباشرة هي آلية من آليات النص وتمطيطه، والقصد إيضاح دلالة غامضة أو تعريف رمز أو علم معين يمهد الشاعر بها الفكرة التي يود طرحها في قصيدته، ويمكن القارئ من تشكيل تصور عام عنها، وتنفتح أمامه بعض الرموز والشفرات من جهة، ومن جهة أخرى يرى مدى التلاعب والحوار الذي سوف يتم في القصيدة حول الموضوع المطروح. ينظر: التناص في شعر الرواد: ٨٨-٨٩.

(٢٩) الاعمال الشعرية الكاملة: ١١٦.

(٣٠) الاعمال الشعرية الكاملة: ٤٥-٤٦.

(٣١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤٠.

(٣٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣٨.

(٣٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٨٧.

(٣٤) الاعمال الشعرية الكاملة: ٣٨.

(٣٥) الشعر العراقي الحديث: ٢٤٤-٢٤٥.

(٣٦) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٩٨.

(٣٧) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٩٠.

(٣٨) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٣١.

(٣٩) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٥٤.

(٤٠) الأعمال الشعرية الكاملة: ٥٢.

(٤١) شعراء من كربلاء: ٣/ ١١٩.

(٤٢) ينظر: بغداد في الخمسينيات. فترة ذهبية في تاريخ العراق الحديث، د. إبراهيم الحيدري: **www.elaph.com/Web/ElaphWriter/2008/12/387623.htm**

(٤٣) الاعمال الشعرية الكاملة: ٤٧.

(٤٤) الاعمال الشعرية الكاملة: ٥٢.

(٤٥) الاعمال الشعرية الكاملة: ٤٣.

(٤٦) الاعمال الشعرية الكاملة: ٤٩.

(٤٧) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٨٨.

(٤٨) المجموعة الشعرية: ٢٨١.

(٤٩) م.ن: ٢١٣.

(٥٠) مجلة (صوت الإسلام) الكربلائية، السنة ٣، العدد ٢، الصادر سنة ١٩٧٤م، مقال (ذكريات مع الشاعر الوطني عباس أبو الطوس) بقلم الأديب المرحوم سعيد بهاء مهدي: ١٤.

(٥١) ينظر: الطبقات والصراع الطبقي، د. عودة ناجي الحمداني **www.iraqicp.com**

(٥٢) الطبقات والصراح الطبقي، د. عودة ناجي الحمداني **www.iraqicp.com**

(٥٣) الاعمال الشعرية الكاملة: ٢٨.

(٥٤) ينظر: أثر الفكر في الأدب: ١٢.

(٥٥) ينظر: الاديب والاتزام: ١٠٨.

(٥٦) الاعمال الشعرية الكاملة: ٢٧.

(٥٧) الاعمال الشعرية الكاملة: ٣٩.

(٥٨) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢٥.

(٥٩) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٦٦.

(٦٠) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٨٧-١٨٨.

(٦١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٨٩.

(٦٢) هكذا في الديوان.

(٦٣) ينظر: البحث عن الذات في رباعيات الشاعر علي الشرقي، د. خميس الشمري، مجلة جامعة كربلاء ١٢٥، السنة الثانية، العدد الثاني.

(٦٤) آفاق جديدة في دراسة الابداع: ١٠٩.

(٦٥) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٨٥.

(٦٦) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٨٩.

(٦٧) ينظر: مقال (المرأة والدفاع عنها) للزهاوي في (الزهاوي - الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر): ١٩٠-١٩٨.

(٦٨) ينظر: الادب العربي في كربلاء: ١٩٦.

(٦٩) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٧٦، وينظر: ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٣.

(٧٠) ينظر: الادب العربي في كربلاء: ١٥٨.

(٧١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢٧٦.

(٧٢) هذا صدر بيت لعلي بن الجهم (ت ٢٤٩هـ) وعجزه (جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري)، ينظر: ديوان علي بن الجهم: ٢٢٠.

(٧٣) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ١/ ٧٨.

(٧٤) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٨٢.

(٧٥) م.ن: ١٨٠-١٨١.

(٧٦) ينظر: محاضرات عن دراسات في المجتمع العراقي: ٤٨.

(٧٧) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٦٥.

(٧٨) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٧٢.

(٧٩) م.ن: ١٧٧.

(٨٠) محاضرات عن دراسات في المجتمع العراقي: ٥٠.

(٨١) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٨٠.

(٨٢) م.ن: ١٨٠.

(٨٣) م.ن: ١٦٦.

(٨٤) الاعمال الشعرية الكاملة: ١٨٤.

(٨٥) في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة: ١١.

(٨٦) ديوان السيد مرتضى الوهّاب: ١١٠.

المصادر والمراجع

١. آفاق جديدة في دراسة الابداع، د عبد الستار إبراهيم، وكالة المطبوعات الكويت، د.ت.

٢. أثر الفكر في الأدب، د. يوسف عز الدين، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٠م.

٣. الأدب العربي في كربلاء من اعلان الدستور العثماني الى ثورة تموز ١٩٥٨م. اتجاهاته وخصائصه الفنية، د. عبود جودي الحلي، ط٢، مكتبة الحكمة، كربلاء، ٢٠١٤م.

٤. الأديب والالتزام، محمود الجومرد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٠م.

٥. البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر ت ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، مصر، ط٥، ١٩٨٥م.

٦. البيوتات الأدبية في كربلاء، موسى إبراهيم الكرباسي، طبعة نقابة المعلمين المركزية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

٧. تاريخ العراق السياسي الحديث، عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، لبنان ١٩٤٨م.

٨. تاريخ كربلاء وحائر الحسين، د. عبد الجواد الكليدار، ط٢، النجف، ١٩٦٧م.
٩. التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.
١٠. جواهر الكنز، لابن الاثير الحلبي، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، د.ت.
١١. الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء، السيد صادق آل طعمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
١٢. دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود الغقاد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا.
١٣. ديوان السيد مرتضى الوهاب، جمع وتحقيق سلمان هادي آل طعمة، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٤. ديوان علي بن الجهم (ت ٢٤٩هـ) تحقيق خليل مردم بك، طبعة دمشق ١٩٤٩م.
١٥. الزهاوي – الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر – عبد الرزاق الهلالي القاهرة، ١٩٧٦م.
١٦. شخصية الفرد العراقي، د. علي الوردي، شركة الوراق للنشر المحدودة، بيروت، ٢٠٠٧م.
١٧. الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، د. جلال الخياط، دار الرائد العربي، بيروت ط٢، ١٩٨٧م.
١٨. شعراء من كربلاء من القرن السابع الهجري حتى مطلع القرن الرابع عشر، سلمان هادي آل طعمة، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م.
١٩. صبح الاعشى في صناعة الانشا، لأبي العباس احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ) نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، د.ت.
٢٠. الصحاح: المسمى تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٨هـ) بعناية مكتبة التحقيق بدار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
٢١. في الرثاء، د. شوقي ضيف (ضمن سلسلة فنون أدبية) دار المعارف القارة، ١٩٥٥م.
٢٢. في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة، د. أحمد درويش، دار الشروق، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٢٣. كربلاء في الذاكرة، سلمان هادي آل طعمة، ط١، بغداد، ١٩٨٨م.

الرسائل الجامعية:

١. اتجاهات الشعر العربي في المشرق (رسالة ماجستير)، صلاح عبد اللطيف، جامعة أم درمان الإسلامية.

البحوث والمجلات:

١. مجلة (صوت الإسلام) الكربلائية، السنة / ٣، العدد / ٢، الصادر سنة ١٩٧٤م، مقال (ذكريات مع الشاعر الوطني عباس أبي الطوس) بقلم الأديب سعيد بهاء مهدي (١٩٣٦ – ١٩٩١م).

المواقع الإلكترونية:

١. بغداد في الخمسينيات فترة ذهبية في تاريخ العراق الحديث د. إبراهيم الحيدري، www.elaph.com/Web/ElaphWriter/2008/12/387623.htm
٢. الطبقات والصراع الطبقي، د. عودة ناجي الحمداني www.iraqicp.com

٢٢. محبوبة، جعفر الشيخ باقر، ماضي النجف وحاضرها، ج١، ط٢، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، (د. م: ١٩٨٦).

٢٣. مركز إحياء التراث، كربلاء في مجلة لغة العرب، ط١، دار الكفيل للطباعة، (كربلاء: ٢٠١٤).

٢٤. النجار جميل موسى، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، (بغداد: ٢٠٠١).

٢٥. النجفي، حسين علي، كربلاء – الحلة – الديوانية قبل ٧٥ عاماً حياتهم – تقاليدهم – قبائلهم – أشعارهم، ط١، الدار العربية للموسوعات، (بيروت: ٢٠٠٨).

٢٦. نقاش، إسحاق، شيعة العراق، ط١، مطبعة أمير، (قم: ١٩٩٨).

٢٧. الهاشمي، طه، جغرافية العراق، ط١، مطبعة دنكور، (بغداد: ١٩٣٨).

٢٨. الهلالي، عبد الرزاق، معجم العراق،ج١، مطبعة النجاح، (بغداد: ١٩٥٣).

٢٩. نظرات في إصلاح الريف، ط٣، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، (بغداد: ١٩٥٤).

خامساً: الصحف:

١. جريدة الزوراء، العدد ٢١٢٤، ٧ / ربيع الأول / ١٣٢٥ هـ.

٢. جريدة الزوراء، العدد ١٥، ١٧/ ربيع الأول / ١٢٨٨ هـ.

٣. جريدة الزوراء، العدد ٢٥١٤، ٢١/ جمادي الآخر/ ١٣٣٣هـ.

٤. جريدة النجف، العدد ٩، ١٢ / حزيران / ١٩٢٥.

٥. جريدة النجف، العدد ١٨، ٢١ / آب / ١٩٢٥.

٦. جريدة النجف، العدد ٢٠، ٤ / أيلول / ١٩٢٥.

٧. جريدة النجف، العدد ٢٢، ٢٥ / أيلول / ١٩٢٥.

٨. جريدة النجف، العدد ٢٤، ٢٣ / تشرين الأول / ١٩٢٥.

٩. جريدة النجف، العدد ٢٧، ١١ / كانون الأول / ١٩٢٥.

١٠. جريدة النجف، العدد ٣٦، ١٩ / آذار / ١٩٢٦.

١١. جريدة النجف، العدد ٤٧، ٢٨ / حزيران / ١٩٢٦.

١٢. جريدة النجف، العدد ٤٩، ١٠ / تموز / ١٩٢٦.

١٣. جريدة النجف، العدد ٥٢، ٢٦ / تموز / ١٩٢٦.

١٤. جريدة النجف، العدد ٦٤، ٣ / كانون الأول/ ١٩٢٦.

١٥. جريدة النجف، العدد ٦٩، ١٤ / كانون الثاني/ ١٩٢٧.

١٦. جريدة النجف، العدد ٧٥، ٣ / آذار / ١٩٢٧.

١٧. جريدة النجف، العدد ٧٦، ٥ / آذار / ١٩٢٧.

١٨. جريدة النجف، العدد ٧٦، ١٥ / آذار / ١٩٢٧.

١٩. جريدة النجف، العدد ٧٧، ١٩ / آذار / ١٩٢٧.

٢٠. جريدة النجف، العدد ٧٩، ١٣/ حزيران/ ١٩٢٧.

سادساً: البحوث الانكليزية:

1- Hans H. Boesch, (El – Iraq), Economic Geography, Vol. 15, No. 4, (Oct; 1939), p 342

سابعاً: البحوث والمقالات:

١. الشبيبي، اسعد، (في سيرة النضال شذرات من مذكرات العلامة الفقيد الشيخ محمد رضا الشبيبي)، البلاغ (مجلة)، السنة الخامسة، العدد ٧، ١٩٧٥.